رمزية المدينة في الرّواية التّونسيّة –رواية محمّد الباردي "شارع مارسيليا" نموذجًا–

*The Symbolism of the City in the Tunisian Novel ; Mohamed El Bardi'smarsel*le street as a case Syudy.

د. نرجس لعبادي *

جامعة القيروان تونس

narjesabaidi164@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/08/07 تاريخ القبول: 2025/09/07. تاريخ النشر: 2025/10/24

ملخص:

يحظى الفضاء الحضري بمكانة مرموقة في الأدب، إذ يعد من أبرز المكونات الحاضرة في الخطابات الإبداعية، الشّعريّة منها والسّرديّة، قديمها وحديثها. وتعود هذه الأهمّية إلى اعتبار المدينة ظاهرة حضاريّة تتميّز بقدرتها على احتواء أحداث متعددة، ومعالجة قضايا اجتماعية وسياسية وأيديولوجية متداخلة. ولاشكّ أن المدينة شكّلت، على مرّ العصور وتعاقب الحقب الأدبية، محورًا أساسيًا في المدونة الإبداعية. وإذا كانت المدينة قد طُرحت في الفكر الإنسانيّ من زوايا متعددة على غرار الفلسفة وعلم الاجتماع والتّاريخ والأنثروبولوجيا والعمارة، فإن تناولها من منظور أدبي صرفي منحها بعدًا جماليًا خاصًا. وبسبب من ذلك سنقاربها بوصفها بناء لغويًا وفنيًا يتخذ من التّخييل والصّياغة الأدبيّة وسيلة لخلق عالم رمزي، تمتحن فيه اللغة، وتستكشف علاماتها، وتستثمر دلالاتها. ومن خلال هذا المنظور، يغدو الفضاء الحضري ركنًا جوهريًا يرتقيب الخطاب الأدبي ويمنحه بعدًا إنشائيًا ودلاليًا متجددًا.

الكلمات المفتاحية: الرّمز؛ المدينة؛ الرّواية التّونسيّة؛ الإبداع؛ الدّلالة.

Abstract : *Urban space holds a significant place in literature, as it is one of the essential elements of creative expression, whether poetic or narrative, past or present. Its importance lies in the fact that the city is a cultural phenomenon, capable of containing complex events and addressing interconnected social, political, and ideological issues. Across history and through different literary periods, the city has consistently been a central theme in creative writing.While the city has been examined in fields such as philosophy, sociology, history, anthropology, and architecture, approaching it from a literary perspective gives it a distinct aesthetic value. In this view, the city can be understood as a*

**المؤلف المرسل*

linguistic and artistic construct shaped by imagination and expressed through literature. It becomes a symbolic space where language is tested, its signs explored, and its meanings deepened. From this perspective, urban space emerges as a vital element that enriches literary discourse and renews its creative and semantic depth.

***Key- words** : Symbol ; City ; Tunisian Novel ; Creativity ; Significance.*

مقدمة:

غنيّ عن البيان ما تكتسيه المدينة في الخطابات الإبداعية من مكانة، إذ يطالعنا في تاريخ الأدب العربي توظيف مخصوص للمدينة بمختلف تجلّياتها وعناصرها. ويعود هذا الاهتمام إلى كونها فضاء حضاريا لا ينى يتجدد، وموقعا مثيرا للعديد من القضايا الاجتماعية والإيديولوجية والثّقافية والسياسية. ولئن كانت المدينة في النّصوص السّرديّة والشّعريّة علامة لغوية يصوغها الكاتب وينسج معالمها وجزئياتها وفق ما يقتضيه سياق النّص، فإنّ طرائق حضورها تختلف من جنس إلى آخر[1]معربة عن تصور منشئها للوجود. وإذا طُبعت المدينة في الشّعر ببلاغة التّصوير والتّمثيل، فإنّها اقترنت في النّثر بالتّحولات الحاصلة في المجتمع.

وتتخذّ المدينة أشكالا متنوعة، إذ تحتوي على فضاءات متعدّدة فتكون مفتوحة من قبيل الشارع والبحر والصحراء والحديقة، أو منغلقة على غرار المقهى والسجن والبيت والغرفة وغيرها من الفضاءات الّتي تستوعبها المدينة. ويطالعنا فضاء المدينة في كتابات إبداعيّة متعدّدة شعريّة أو نثريّة، إذ يتواتر حضورها في العديد من الرّوايات الحديثة والمعاصرة. ويطرح ذلك مسائل فنيّة ودلاليّة شتّى. فالمدينة تكشف عن أبعاد ودلالات مختلفة طيّ النصوص تتخذها الذّات الرّاوية سبيلا للكشف عن مشكلات إنسانيّة شائكة.

ويزداد حضور المدينة تجليّا حينما تتصدّر أسماء بعض المدن أغلفة الرّوايات على غرار "خان الخليلي" لنجيب محفوظ و"مدن الملح التيه" لعبد الرحمن منيف و"أبواب المدينة" لإلياس خوري أو "بغداد وقد انتصف اللّيل فيها" لحياة الرايسوغيرها، وهو ما يؤكد لا محالة منزلة هذا الفضاء في الكتابات الرّوائيّة.

وبسبب من ذلك ارتأينا أن نقوم بدراستها في هذا السياق محاولين تقفي أبعادها الرّمزية والدّلاليّة مستندين في ذلك إلى رواية تونسية، للكاتب والرّوائي محمّد الباردي بعنوان **شارع مارسيليا**[2]، باعتبارها من أهمّ النّماذج المساعدة على مقاربة هذا الموضوع شكلا ومعنى.

1. المدينة في عتبة العنوان:

لا شكّ في أنّ العتبات من المواضع المهمّة في قراءة العمل الأدبي، إذ من وظائفها التّنظير لفحوى النصّ وإبراز مكامنه، وقد تعلقت بها دراسات وأبحاث متنوعة بتنوع وجهات النّظر إليها[3]. ومهما يكن اختلاف النّقاد في شأنّها، فهي تعرض مجموعة من العلامات الخادمة لبنية النصّ والمجسدة لوحدة الأثر.ومتى تأملنا عتبة الغلاف الحاضنة لرواية "**شارع مرسيليا**"، تجلّت لنا بوادر الاهتمام بالمدينة بدءا بالعنوان[4] الذيمثل علامة بارزة لظهور مقوماتها داخل السرد.ويؤكد ورود إحدى عناصرها في هذا الموضع المكانة التي حظيت بها المدينة في الكتابات الرّوائيّة الحديثة، لا سيما أنّ "العنوان المنتقى محمّل بأبعاد دلاليّة تستدعي من النّاظر مساءلة وتأويلا لا يقلاّن قيمة عن مساءِلة المتن ذاته"[5].

ومن ثمّة فإن اختيار الكاتب **شارع مرسيليا** عنوانا لروايته قد يعرب عن ميزة هذا الفضاء وفرادته داخل المتن، خصوصا أنّه عمد إلى تسميته بطريقة مرجعية دالّة على أحد شوارع مدينة تونس، وقد تمّت تسميته نسبة إلى مدينة مرسيليا (Marseille) الفرنسيّة.ومهما تكن الدّواعي الدّافعة لتسمية هذا الأثر بهذا الاسم، فإنّ ما يعنينا هو التفات الكاتب لفضاء المدينة،وإدراجه ضمن مواضع نصّه الاستراتيجية.ومتى دققنا النّظر طيّ المتن الحكائي، لاحظنا أنّه من الأمكنة التي يتكرر ذكرها داخل النّص، على غرار ما يظهر في قول الرّاوي: "أو يكون قد تورّط في سَهْرَةٍ خمريّةٍ مع أصدقائه قد تمتدّ إلى الفجر في حانةِ "الأمير الصغير" في شارع مارسيليا"[6]، أو في قوله: "كان الأستاذ في بداية حياته المهنيّة عندما عثر على هذه الشقّة الّتي يقطنها الآن، فقد كان يقضي كاملَ يومِه في شارع مارسيليا"[7].

والملاحظ في هذه الشواهد،إلى جانب التأكيد على انعقاد التّناغم والانسجام بين العنوان والمتن الذي يتصدره، كيف تمّ حصر الأحداث في هذا الفضاء "الشارع"، الذي مثّل نواة تتفرع منها

بقية الأمكنة الأخرى من قبيل الحانة والشقة والمقهى وغيرها من العناصر المثبتة لتجلّيات المدينة داخل النّص السّردي. ولئن تنوعت طرائق حضور فضاء المدينة داخل العمل، فإنّنا نروم تدبّرها من زاوية كونها كائنا لغويا يجسم إنشائية الخطاب ويعمق أبعاده التّعبيرية وقيمه الرّمزية والإيديولوجية[8].

2.الأبعاد الرمزيّة لفضاء المدينة:

لا تخفى المكانة التي حظي بها الرّمز في الدّراسات النّقدية، إذ أضحى مجالا لقراءة النصوص الإبداعية واستكناه مدلولاتها المحتجبة. وبسبب من ذلك ارتأينا أنّ ندرس تجلّيات المدينة في **شارع مارسيليا** من هذه النّاحية الرّمزية[9]، لا سيما أنّ حضور عناصرها ومقوماتها طي المتن لم يكن اعتباطيّا، فهي تتجاوز البعد الجغرافي لتخترق جميع المجالات الحياتيّة الأخرى.

1.2. البعد الواقعي للمدينة:

يعتبر المكان من العناصر المهمّة في تشكيل النّصّ السّردي، شأنّه في ذلك شأن جلّ العناصر المكوّنة للنسيج الحكائي من شخصيات وأحداث وغيرهما، وهو حيز ثري ما فتئ يستقطب اهتمام النّقاد والأدباء في حقب تاريخيّة متنوعة. ولئن كان المكان في الأعمال الروائية علامة لغوية ينطلق منها الكاتب لتشكيل عالمه الفنّي، فإنّ سبل تشييده داخل النّص تختلف من عمل إلى آخر باختلاف وجوه النّظر إليه. ويعود اهتمامنا بالمكان "المدينة" في **شارع مارسيليا** من النّاحية الواقعية، إلى تواتر إحالته على الواقع، وقد تجلّى ذلك من خلال تسمية المقاهي والشوارع والحانات وغيرها بأسماء حقيقيّة لها وجودها المرجعي خارج اللّغة، ومن الأمثلة الدّالة على ذلك قول الرّاوي: "بدت الحياة هادئة في شارع شارل ديغول"[10]، أو في قوله: "يجد نفسه في شارع بورقيبة يدخل مقهى باريس"[11]. ومهما بدت الأمكنة مماثلة للواقع في أسمائها ووقائعها، فإنّها لا تعدم تواشجها مع المتخيل في تشكيل صورها وسرد أحداثها[12]، وهو ما يبرز أنّ الالتفات إلى الواقع في الرّواية محكوم برؤية الذّات الكاتبة للوجود.

ومن المظاهر الموهمة باشتغال الواقع المرجعي في **شارع مارسيليا** طريقة سرد الأحداث فيها، خصوصا أنّ الرّاوي لا ينفك عن زجها في أطر مكانية معروفة، وآية ذلك ما يظهر في قول الرّاوي: "مساء سبتٍ ركبت معه سيّارته الّتي أخرجها من الكراج وأخذها إلى مطعم في مدينة الحمامات"[13]،

أو في قوله: "أصبح سكّان الملّاسين وحيّ الزهور والزّهروني يعرفونه باسمه"[14]. إذ يتيّن النّاظر في هذه الأمكنة إشارتها المباشرة إلى البيئة التّونسية،وتعدّ "الغاية من ضبط المكان استدعاء ذهن المتقبّل إلى الحلول فيه كي يكمل خياليّا ما وصفه له السارد تخييليّا.وبذلك يكون الاثنان في الدّرجة نفسها من المعرفة"[15].ومن ثمّة يتّخذ الكاتب من الأمكنة المنتقاة نماذج لإبراز بعض الدّلالات الكامنة فيها، وسنهتم في هذا السياق بفضاء الشارع لسببين، الأوّل لأنّه من أكثر الفضاءات حضورا في رواية الباردي، والثّاني لأنّه تجلّى بطريقة نأت عن النزعة الواقعية التقليدية المحمّلة في عرض الأمكنة بالدلالات والأبعاد المتحكمة في الشخوص والأحداث الحاضنة لها.

لقد تمّ استحضار فضاء الشارع ذي البعد الواقعي في الرّواية، من خلال رؤية الكاتب النازعة إلى الحيادية والموضوعية في نقل تفاصيله ومؤثثاته وشخوصه، على غرار ما يظهر في حديث الرّاوي عن "مبروكة" خادمة الأستاذ "عبد الوهاب المرايحي" بعد أن اعتادت العيش في المدينة في قوله: "تنزل من الشقّة وتجد نفسها في شارع مارسيليا، تمشي قليلا لتدخل الكوليزيه. تقف أمام قاعة السّينما. ترفع رأسها إلى الصّور الإشهارية. تظلّ تتأمّل صور الممثّلات العاريات"[16]. يتبين النّاظر في هذا الشاهد توسل الكاتب في عرضه للفضاء باللّغة المجردة الجافة، متخذا دور الملاحظ (observateur) في نقل مؤثثاته مبتعدا بذلك عن الإحالة المباشرة لقصده، "ليجعل اللّغة تقوم بدور طليعي، فيعمق رؤيته للفضاء، وينزاح بالكتابة عن التنميط والتكلس، لتحمل رسالة وقصدا"[17] وفق الانطباع الذي يريد إبلاغه. ومن ثمّة يستوجب هذا الأسلوب إنعام النّظر لتدّبر الأبعاد الخفيّة الكامنة فيه، لا سيما أن خروج شخصية مبروكة إلى الشارع والنّظر إلى مؤثثاته يعرب عن رغبة الشخصية في التخلص من قيودها. ويلاحظ المطّلع على بقية الشوارع المجسمّة في الرّواية أنّها صيغتبنفس الرؤية الحيادية، والأمثلة الدّالة على ذلك كثيرة على غرار قول الرّاوي: "أمام مركز الأمن في شارع شارل ديغول وقَفَ. كان يومُ الخامس عشر من شهر جانفي يومًا غير عاديّ. قبل ذلك كان قد ترك سيّارته في الكاراج في شارع مارسيليا، ثمّ ترجلّ في الشارع الكبير"[18].

وظّف الشارع في هذا الشاهد لإبراز حدث محوري في الرّواية، صاغه الكاتب بطريقة مفعمة رموزا وإيحاء وأدبية، تتطلب من القارئ دراية بالأحداث التي شهدتها تونس في هذا التاريخ لإستجلاء

المعنى المحتجب في النّص.وتبعا لذلك بدت الحاجة في الإحالة على الواقع لازمة كتابية توسلها الباردي كي يضع القارئ في سياق نصّه المتخيل، لا سيما أنّه لا يحاكي فضاءا كونيا، وإنّما يعبر من خلاله عن بيئة محلية لها وجودها الخاص. وسنسعى، إثر ذلك إلى تتبع دلالتها الرّمزية من خلال الوقوف على فواصلها المرجعية والفكرية الخادمةلمعمار النّص الرّوائي.

2.2. المدينة والبعد الدّيني:

يعدّ فضاء المدينة في الكتابات الرّوائيّة الحديثة، مجالا لتقفّي جملة من القيم الرّاسخة في مجتمعنا العربي، وموضعا كاشفا للممنوع والمحظور وأداة لكسر الحدود الفاصلة بين الواقع والمتخيل، ويعتبر موضوع الدّين من المواضيع التي لمسنا حضورها في رواية **شارع مرسيليا**، فمتى أنعمنا النّظر في الخطابات النّصّية التي حاورتها سياقات النّص ألفينا تطرقا واضحا لموضوع الدّين والمعتقد. وقد شكل فضاء المدينة حافزا للكشف عن جملة من الرؤى الفكرية والاجتماعية المتعلقة بهذه المسألة، باعتباره إطارا مساعدا لتقابل مختلف الديانات، ويعدّ حدث لقاء المحاميبسارة اليهودية في إحدى قاعات السينما بمدينة تونس، وعشقه لها من الدّعائم الدّالةعلى ذلك، وقد ساهم هذا الحدث في الإعراب عنبعض المواقف الاجتماعية والعائلية التي تحرم مثل هذه العلاقات، وآية ذلك ما يظهر في حديث الرّاوي عن أبي المحامي، يقول: "انتظر صلاة الجمعة وتوسّط النّاس في المسجد وأعلن على الملأ أنّه تخلّى عن أبوّته للأستاذ عبد الوهّاب المحامي وأنّه يعلن زواجه بيهوديّة ويحقّ لكلّ من يراه في هذه المدينة أن يرجمه بالحجارة"[19].

ولقد أفضى بنا إنعام النّظر في فضاء المدينة، إلى الوقوف على جملة من الوقائع المجسدة للمعاناة التي تعيشهابعض الشّخصيّات اليهوديّة في مدينة تونس، وقد تجلّت بطريقة رمزية في رواية الباردي، ونستشف ذلك من خلال إعراب الرّاوي عن موقف المسلمين من اليهود في قوله: "لكنّه لا يثق في المسلمين فعداوتهم لليهود تزداد يوما بعد يوم، فكلّما ازداد العنف في القدس ازدادت الكراهيّة في هذا البلد، فهم لا يميزون بين الصّهاينة واليهود"[20].ويتبيّن النّاظر في هذا الشّاهد دور الفضاء في الكشف عن بعض الانطباعات السّلبيّة الّتي تشعر بها هذه الفئة في المدينة، ومن ثمّة يؤكد هذا التّوظيف العلاقة القائمة بين الإنسان والمكان.

ونظرا إلى أنّ المكان في الرواية ينشأ "بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النّظر الّتي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الرّوائي الّذي ستجري فيه الأحداث"[21]، فإنّ طريقة انتقاء عناصره ومكوناته لا تخلو من أبعاد دلالية ورمزية خادمة لبنية النّص. ولا يخرج الإطار المكاني في **شارع مارسيليا** عن هذا الأسلوب الترّميزي المحمّل بدلالات تعكس بوجه ضمني أو صريح طبيعة الأشخاص الفاعلة فيه، ولقد تعمد الكاتب وضع شخصية الإمام في أمكنة متنوعة لإبراز بعض المظاهر السلوكيةالمتناقضة،ويتوفر ذلك في موضعين من المدينة، الأول عندما التقى به الأستاذ في المسجد مثلما يظهر في قول الرّاوي: "دخل الجامع وتربّع على الحصير وظلّ ينتظر صعود الإمام إلى المنبر مع بقيّة المصلّين. لم ينتظر طويلا... كان الإمام شابا أمرد لم يضع لحيةً على وجهه. ولكنّه كان متشدّدا في كلامه"[22]. ثمّ في حانة الأمير الصّغير، يقول الرّاوي:

مدّ الأستاذ سبّابته في وجه الرّجل:

– ألسْتَ أنْتَ إمام جامع عائشة ببارد؟ لقد صلّيتُ وراءك منذ أسبوع.

تهلّل وجهُ الطاهر الكومي ورحّب بالأستاذ:

– مرحبا بك يا أستاذ، إنّها لمعرفةٌ سعيدةٌ. تفضّل.

وطلب له زجاجتين. عندئذ انفجروا ضحكا. وبدأ الأستاذ حياةً جديدةً في "الأمير الصّغير"[23].

ويتبيّن النّاظر في هذه الشّواهد، كيف ساهم التّقابل المكاني بين "الجامع" و"الحانة"في خلق الانطباع المراد إبلاغه داخل النّص، وإظهار أبعاده الرّمزيّة والإيديولوجيّة، ويعدّ حضور شخصية الإمام في هذين الفضائين علامة دالة على كثرة النّفاق وانحلال القيم، لا على المستوى الاجتماعي فحسب وإنّما في علاقة الإنسان بخالقه. وقد توسل الكاتب في تجسيم هذه الأمكنة أسلوب الحذف والاضمار[24] قصد تشريك القارئ في عملية التّخييل السّردي من جهة، وتأكيدا على إنشائيّة الفضاء المدني وقدرته علىإتمام المعنى من جهة أخرى. ويفضي بنا هذا التّوظيف الرّمزي لمقومات المدينة في هذه الشواهد إلى القول إنّ رواية الباردي لم تلتفت إلى المدينة باعتبارها كيانا ماديا فحسب وإنّ أوحت اللّغة بذلك، وإنّما تحمل في أغوارها إيديولوجية منتجها. وبناء على ذلك لم يعدّ تناول الفضاء في الرواية

الحديثة "مجرد أشكال هندسية أو مؤطرا للشخصيات والأحداث، وإنّما أصبح طرقا لغوية ورؤى للعالم، ومعرفة بالواقع من خلال الفن"[25].

3.2. المدينة والأبعاد النّفسية والثقافية:

مهدّت لنا مسألة النّظر في رمزيّة المدينة في رواية الباردي، إلى تدّبر جملة من الأبعادالنّفسية والثّقافيّة المتواشجة مع طبيعة المكان. وقد جعل الكاتب شارع مرسيليا الفضاء الرئيس لإبرازمثل هذه الجوانب، ويتجلّى تأثير المدينة وانعكاسها النّفسي على الشخصيات الفاعلة فيه في عدّة مواضع من الرّواية، على غرار تعلق الأستاذ عبد الوهاب المرايحي بشقّتة الموجودة في شارع مارسيليا رغم توفر إمكانات أخرى لتغييرها، ونتبين ذلك في قول الرّاوي: "في هذه الشقّة يعيش الأستاذُ، وما فكّر يوما في استبدالها رغم الأموال الّتي يدّخرها في البنك، وكثيرا ما اقترح عليه حرفاؤه من كبار مديري الشّركات إهداءه فيلا من الفيلاتِ الجديدةِ الّتي تشيّد في الأحياء الرّاقيّة ولكنّه كان يرفض"[26].

ويعود هذا التّعلق إلى ما يكتنزه المكان من معان، فهو علامة دالة على رغبة الشخصيّة في الاحتفاظ بذكرياتها الماضية، ففي هذه الشّقة تزوج الأستاذ بمعشوقته سارة وبعد موتها أعرض عن تغييرها، وهو ما يعرب عن رفضه لفكرة فقدانها ويعدّ احتفاظه بالشقّة حافزا لاستمرارية وجودها في حياته، وآية ذلك ما يظهر في قول الرّاوي: "بعد ستّة أشهر كانت سارة قد خرجت من الشقّة الّتي هيّأتها بنفسها ولن يمكّنها الموت من العودة إليها. ولذلك لم يجازف الأستاذ بأن يستبدل هذه الشقّة بإحدى الفيلات الفخمة في حيٍّ من الأحياءِ الرّاقيةِ"[27].

ولا يخفى على دارس الرّواية انفتاحها المستّمر على قضايا الواقع بكل أبعاده الثقافية والفلسفية والفكرية، ويعدّ التفات الكاتب في **شارع مارسيليا** إلى موضوع الجنس وإدراجه في أمكنة متنوعة من المدينة، من الدّعائم الدّالة على وعي الذات المبدعة بقضايا العصر عامّة،وبالتّصورات الشّعبيّة المحلية خاصّة.لا سيما أنّ التّطرق لمثل هذه المواضيع لا يشمل "المعنى الجنسي والرغبة والإغراء فقط، بل يرمز إلى الفكر والهوية الثّقافية"[28].وبسبب من ذلك نلفيه في مواضع متنوعة من الرّواية، يحرص على ذكر أسماء الفضاءات التي تحتضن هذه الوقائع، وآية ذلك ما يظهر في قول الرّاوي: "لكنّ شارع مارسيليا هو شارع اللّقاءات الغراميّة والمواعيد الطّارئة. في هذا الشّارع يتواعد الشبّان والشّابات.

يدخلون المقاهي، يجلسون ويطلبون القهوة ويدخّنون السجائر وتتلامس الأيدي وتجرى السّاق بين الفخذين"[29]، أو في قوله: "وعندما ترتفع درجة الحرارة يبحثان عن مأوى مؤقت ولا يجدانه إلاّ في بلاصات شارع مارسيليا"[30].

والذي نلاحظه في هذه الشواهد، إلى جانب الإيهام بحقيقة المروي من خلال التنصيص على ذكر اسم الفضاء الحاضن للأحداث، كيف سعى الرّاوي إلى الكشف عن أبعاد رمزية أعمق من البعد الجسدي، متوسلا في ذلك باللّغة الرؤية على حدّ تعبير إدوار الخرّاط، التي لا تتجاوز سطح طوبوغرافية المكان،

ومن هذا المنطلق مثّلت المدينة في رواية الباردي نقطة ارتكاز لتفجير قضايا أبعد من وجودها المادي، فتنصهر مقوماتها في نسيج النّص لمقاربة منظومة القيم السائدة في المجتمع. وهو ما يعني أن المكان في الأعمال الإبداعية ليس علامة لغوية فحسب، وإنّما يعبر من خلالأبعاده الدينيّةوالفكريّة والرّمزية عن صلته الوثيقة بالواقع القائم أو الممكن.

خاتمة:

قادنا البحث في رمزيّة المدينة في الخطاب الرّوائي، إلى النّظر في جملة من المواضع المهمّة التي يُبنى وفقها العمل السّردي، ومردّ ذلك المكانة التي حظيت بها المدينة في الكتابة الأدبيّة عامّة وفي مدونة بحثنا على وجه الخصوص. فقد تفاقم الاعتناء بمقوماتها منذ عتبة الغلاف باعتبارها من المواضع المركزية التي تستميل القارئ وتحفزه على فعل القراءة، وإنّ ما دقّقنا فيه النّظر في مستوى العتبات هو العنوان لإحالته المباشرة على مكان القصّ، فضلا عن كونه العلامة الواصلة بينه وبين المتن، وتجلّي أحد عناصر المدينة في هذا الموضع يعرب عن أهميتها داخل السرد.

وإنّ طريقة تمثيل الباردي لمقومات المدينة في **شارع مارسيليا**، أكسب الرواية المتخيلة بعدا واقعيا من خلال إحالتها المباشرة على أمكنة لها وجودها المرجعي خارج اللّغة، ومهما بدت الأمكنة مشاكلة للواقع في أسمائها وموقعها، فإنّها تخضع في إحالتها الرّمزيّة والدّلالية لرؤية منتجها الفكرية والجمالية باعتبار أنّ "الطرق الكتابية لتصوير الفضاء هي التي تحيل على دلالته ... وليس الفضاء في حد ذاته"[31].

ومن ثمّة يغدو الفضاء المديني بكل عناصره ومقوماته أمارة من أمارات التجديد في الرّواية الحديثة عامة، وفي رواية الباردي بصفة خاصّة، وعلامة دالّة على إنشائيتها القائمة من خلال لغة صاحبها الحيادية والموحية. ومهما يكن من أمر طرائق حضور المدينة في النصّ، فإنّها مثّلت ملمحا جماليا يعرب عن قدرة الكاتب الفنّيةوالإبداعية، وخلفية إيديولوجية محكومة برؤية منشئها للوجود.وحسبنا أنّ نشير في الأخير إلى أنّ الباردي قد اتخذ من الشارع موقعا لرصد جملة من الأبعاد والدلالات عبر وسائط جمالية متنوعة، فيعرض طوبوغرافيته وما يحتويه من فضاءات حسب نظرته الخاصة، ومن ثمّة لكي يحصر الشخصية والأحداث والقارئ أيضا ضمن رؤية محددة.

التهميش:

[1]– يذهب مُحَمَّد الخبو إلى أن المدينة تخضع لمقتضيات الجنس الذي تتنزل فيه، "فهي في الشّعر تصاوير محمولة في المجاز والرّمز، وهي في أصل القصص عامّة وفي الرّواية بصفة خاصّة ملتبسة بمبدأ التمثيل الذي قوامه الإيهام بها وتخييلها دون الإحالة المباشرة على ما تتشكّل به ومنه في الواقع". **مداخل إلى الخطاب الإحالي في الرواية**، مكتبة علاء الدين، ط1، صفاقس، 2006.

[2]– محمّد الباردي، **شارع مارسيليا**، دار ضُحى للنّشر والتّوزيع، ط1، تونس، 2017.

[3]– لمزيد من التعمق أُنظر:

– Gérard Genette, *Seuils*, Éditions du seuil, Paris 1987.

– فوزي الزمرلي، **شعرية الرواية العربية بحث في أشكال تأصيل الرواية العربية ودلالاتها**، مركز النّشر الجامعيّ تونس، كلية الآداب بمنوبة، 2002.

[4]– يشير محمّد الخبو في معرض حديثه عن التّشكل القصصيّ للمدينة في الرّواية العربية المعاصرة، إلى أنّ "دراستنا للفضاء المدني تقتضي أن ندرسه في تمثلاته التي يتكون بها ومنها. ولهذا، فالحديث عن المدينة في النّص الروائي قائم في سرد أجزائها وعناصرها. فقد تتمثل المدينة مثلا في الشارع والعمارة والإدارة والسجنوغيرها من مقومات المدينة". **مداخل إلى الخطاب الإحالي في الرواية**، ص 49.

[5]– البشير الوسلاتي، **فنّ القصّ عند يوسف إدريس**، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بسوسة، 2008، ص 169.

[6]– مُحَمَّد الباردي، **شارع مارسيليا**، ص 7.

[7]– **المصدر نفسه**، ص 21.

[8]- أشار هنري ميتيران Henri Mitterand في سياق حديثه عن وظائف المكان إلى "القيم الرمزية والإيديولوجية" التي يحيل عليها.

- Henri Mitterand, *Le discours du roman*, éd puf écriture, France, 2 éd, 1986, p 194.

[9]- تشير فاطمة الزهراء مُحَمَّد سعيد في معرض حديثها عن الرّمزيّة في أدب نجيب محفوظ إلى أنّه "من الصعب أن نضع الرّمزية في إطار محدّد يبرز مدلولها"، **الرّمزيّة في أدب نجيب محفوظ**، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، 1981، ص 125.

[10]- مُحَمَّد الباردي، **شارع مارسيليا**، ص 112.

[11]- **المصدر نفسه**، ص 21.

[12]- في هذا السياق يقول مُحَمَّد الخبو: "إنّ ما نقرؤه عن مدن عربيّة في الرّوايات العربية على غرار القاهرة في بعض نصوص محفوظ، وبيروت في كتابات إلياس خوري، والإسكندريّة في نصوص الخرّاط، وحيفا في أدب إميل حبيبي ليس من قبيل الوثائق عن هذه المُدُن، وإنّما هو من قبيل المتخيل يُصاغ برؤائهم وطرائقهم في السرد، بما يعدلون عن جهاتها الأصليّة، ويتصرفون في أشكالها بحسب تصوّراتهم". **مداخل إلى الخطاب الإحالي في الرواية**، ص ص 38- 39.

[13]- مُحَمَّد الباردي، **شارع مارسيليا**، ص 53.

[14]-مُحَمَّد الباردي، **شارع مارسيليا**، ص 151.

[15]- أحمد السماوي، **فن السرد في قصص طه حسين**، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس، ط 1، تونس، 2002، ص 352.

[16]- مُحَمَّد الباردي، **شارع مارسيليا**، ص 71.

[17]- حورية الظلّ، **الفضاء في الرواية العربية الجديدة**، مخلوقات الأشواق الطائرة لإدوار الخراط نموذجا، دار نينوى للدراسات والنّشر والتّوزيع، دمشق – سورية، 2011، ص 85.

[18]- مُحَمَّد الباردي، **شارع مارسيليا**، ص109.

- مُحَمَّد الباردي، **شارع مارسيليا**، ص 53.[19]

[20]- **المصدر نفسه**، ص 59.

[21]- حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي**، الفضاء- الزمن – الشخصيّة، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص 32.

[22]- مُحَمَّد الباردي، **شارع مارسيليا**، ص ص 75 – 76.

[23]– **المصدر نفسه**، ص 78.

[24]– أثبت أحد النّقاد أنّ الاضمار "طريقة أسلوبيّة تتيح إثارة بعض الآراء لدى المتلقّي دون أن يتحمّل المتلفّظ مسؤوليّة التعبير عنها بنفسه. إنّها تمكّن من بثّ اعتقاد مّا دون أن تقوله".

-Oswald Ducort, *Dire et ne pas dire Principes de sémantique linguistique*, Paris, Hermann, 2003, p 15. أخذنا هذا الشاهد من كتاب البشير الوسلاتي، **النّص الأقصوصي وقضايا التأويل**، دار صامد للنّشر والتّوزيع، ط 1، تونس، 2014، ص 138.

[25]– حورية الظلّ، **الفضاء في الرواية العربية الجديدة**، ص 178.

[26]– مُحَمَّد الباردي، **شارع مارسيليا**، ص 12.

[27]– مُحَمَّد الباردي،**شارع مارسيليا**، ص 13.

[28]– عبير عطية، "رمزية الجسد وبنية الواقع في مجموعة عبد الله المتقي "مطعم هالة""، ضمن كتاب**الجسد في النّص السّردي**، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بسوسة، دار زينب للنّشر والتّوزيع، ط1، تونس، 2018، ص 192.

[29]– مُحَمَّد الباردي، **شارع مارسيليا**، ص 156.

[30]– **المصدر نفسه**، نفس الصفحة.

[31]– حورية الظل، **الفضاء في الرواية العربية الجديدة**، ص 81.

المراجع باللغة العربية:

1. أحمد السماوي، **فن السرد في قصص طه حسين**، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس، ط 1، تونس، 2002.
2. البشير الوسلاتي، **النّص الأقصوصي وقضايا التأويل**، دار صامد للنّشر والتّوزيع، ط 1، تونس، 2014.
3. البشير الوسلاتي، **فنّ القصّ عند يوسف إدريس**، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بسوسة، 2008.
4. حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي**، الفضاء- الزمن – الشخصيّة، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
5. حورية الظلّ، **الفضاء في الرواية العربية الجديدة**، مخلوقات الأشواق الطائرة لإدوار الخراط نموذجا، دار نينوى للدراسات والنّشر والتّوزيع، دمشق، سورية، 2011.
6. عبير عطية، "رمزية الجسد وبنية الواقع في مجموعة عبد الله المتقي "مطعم هالة""، ضمن كتاب**الجسد في النّص السّردي**، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بسوسة، دار زينب للنّشر والتّوزيع، ط1، تونس، 2018.

7. فاطمة الزهراء مُحَّد سعيد **الرّمزيّة في أدب نجيب محفوظ**، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، 1981.

8. فوزي الزمرلي، **شعرية الرواية العربية بحث في أشكال تأصيل الرواية العربية ودلالاتها**، مركز النّشر الجامعيّ تونس، كلية الآداب بمنوبة، 2002.

9. محمّد الباردي، **شارع مارسيليا**، دار ضُحى للنّشر والتّوزيع، ط1، تونس، 2017.

10. مُحَّد الخبو: **مداخل إلى الخطاب الإحالي في الرواية**، مكتبة علاء الدين، ط1، صفاقس، 2006.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Henri Mitterand, *Le discours du roman*, éd puf écriture, France, 2 éd, 1986, p 15.

1. Gérard Genette, *Seuils*, Éditions du seuil, Paris 1987.

2. -Oswald Ducort, *Dire et ne pas dire Principes de sémantique linguistique*, Paris, Hermann, , 2003, p 15.